﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الأنفال: 15 - 16]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلهما:

العلاقةُ بين تقرير عقاب الكفّارِ وعذابهم، وأمْرِ المؤمنين بالثَّبات والشَّجاعة في الحرب

لَمّا بيَّنَ اللهُ تعالَى إهانَةَ الكُفّارِ في الدُّنْيا بتَسْليطِ أهلِ الإيمانِ عليْهِم، ضربًا لرؤوسِهم وبَنانِهم، وفي الآخِرَةِ بما لهم منْ عذابِ النّار؛ أتْبعَهُ بنَهْيِ المؤمنينَ عنِ الفِرارِ منهم، وتَهْديدِ مَن نكَصَ عنهم بَعْدَ البَيانِ المتقدِّم، وهو يَدَّعي الإيمانَ، فقالَ ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾[1]، "فيأمرُ اللهُ تعالى عباده المؤمنين بالشَّجاعة الإيمانيَّةِ، والقوَّة في أمره، والسَّعي في جَلْبِ الأسباب المُقوّية للقلوبِ والأبدان، ونهاهم عن الفرارِ إذا التقى الزَّحفان"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿زَحۡفٗا﴾: الزّاي والحاءُ والفاءُ، تدلُّ اشْتِقاقاتُها على بُطْءِ الحَرَكَةِ معَ الاحْتِكاكِ بالأرْضِ مِن ثِقَلٍ أو نَحْوِه[3]، وأصْلُ الزَّحْفِ: انْبِعاثٌ معَ جَرِّ الرِّجْلِ[4]، ومنه زَحْفُ الصَّبيِّ على الأرضِ قَبْلَ المَشْي؛ فإنَّ حرَكَتَهُ بَطيئَةٌ وفيها جرٌّ للأرْجُلِ، وكذا الجَماعَةُ يَزْحَفونَ إلى العَدوِّ[5]؛ لأنَّ اندفاعَهُم نحو العَدوِّ ومُضيَّهُم إليه قُدُمًا فيهِ بُطْءٌ؛

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 240/8.
(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 317.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (زحف).
(4) الرّاغب، المفردات: (زحف).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (زحف).

ليكونَ ذلكَ على جِهَةِ التَّحرُّسِ والتَّرصُّدِ لِلْفُرْصَةِ، ومِنْهُ قولُ اللهِ تعالَى: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾[1].

2) ﴿ٱلْأَدْبَارَ﴾: الدّالُ والباءُ والرّاءُ، تدلُّ تصريفاتُهُ على آخِرِ الشَّيءِ وخَلْفِه[2]، ومنه الدُّبُرُ؛ وهو نَقيضُ القُبُل مِن كُلِّ شَيْءٍ[3]، ومنه: أدبارُ السُّجودِ، وهي أواخرُ الصَّلواتِ، وإدْبارُ النُّجومِ: عند الصُّبْحِ في آخرِ اللَّيْلِ[4]، ووَلّاهُ دُبُرَهُ: كِنايَةٌ عَنِ الهزيمَةِ والفِرارِ مِنَ المعرَكَةِ[5]، ومنه قولُ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾، فهو نَهْيٌ لهم عَنِ الانْهزامِ[6].

3) ﴿مُتَحَرِّفًا﴾: الحاءُ والرّاءُ والفاءُ، تدلُّ تصاريفُها على نِهايَةِ جانبٍ أو وجْهٍ مِن الشَّيْءِ، يَبْدَأُ بِهِ جانبٌ آخَرُ، ومنه الانحرافُ، وهو: العُدولُ والمَيْلُ عَنِ الشَّيءِ إلى جانبٍ منه[7]، وحرفُ الشَّيءِ طَرَفُهُ، ومنه قولُ اللهِ ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحجّ: 11] أي: علَى طَرَفٍ مِنَ الدّينِ، ليسَ لَهُ ثَباتٌ فيهِ، (كالَّذي يَكونُ على طَرَفِ الجَيْشِ، فإنْ أحَسَّ بظَفَرٍ قَرَّ، وإلّا فرَّ)[8]. وقولُ اللهِ تعالَى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾، أي: مائلًا لأجلِ القِتالِ، وذلك إذا مالَ عَنْ مُعْظَمِ القتالِ ووسَطِ الصَّفِّ إلى مكانٍ هو أمْكَنُ لَهُ؛ بقصدِ الكَرِّ والفرِّ[9].

4) ﴿مُتَحَيِّزًا﴾: الحاءُ والواوُ والزّايُ تدورُ اشتقاقاتُها حَوْلَ الجَمْعِ والتَّجمُّعِ، ولِذا يُقال لكلِّ مَجْمَعٍ وناحيَةٍ: حَوْزٌ وحَوْزَةٌ، ومنه قولُهُمْ: حمَى فلانٌ الحَوْزَةَ، أي: المَجْمعَ والنّاحيةَ[10]. وقولُ اللهِ ﷻ: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ أي: يَصيرُ إلى حَيِّزِ فِئَةٍ مِنَ المُسْلِمينَ - أي: ناحيتِهم - يَمْنَعونَهُ مِنَ العَدوِّ[11]، والتَّحوُّزُ التَّفعُّل، والتَّحيُّزُ التَّفيعل، وقال أبو إسحاق في معنى الآية،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 286/9.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دبر).
(3) الحميريّ، شمس العلوم: (دبر).
(4) الخليل، العين: (دبر).
(5) الفيّوميّ، المصباح المنير: (دبر).
(6) الرّاغب، المفردات: (دبر).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (حرف).
(8) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 66/4.
(9) بطّال الرّكبيّ، النّظم المستعذب: 278/2.
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حوز).
(11) الهروي، الغَريبَين: (حوز)، والرّاغب، المفردات: (حيز).

أي: إلّا أنْ يَنحازَ، أي: ينفرد ليكون مع المُقاتِلة، وأصله: متحيِّوز، قلبت الواو ياء لمجاورة الياء، ثمَّ أُدغمت فيها، ويقال: هو (تفيعل) من الحوز[1]، قال الشّاعر:

تَحَيَّزُ مِنّي خيفَةً أنْ أضيفَها *** كَما انْحازَتِ الأفْعَى مَخافَةَ ضاربِ[2]

5) ﴿بَآءَ﴾: الباء والواوُ والهَمْزَةُ تدُلُّ تصريفاتُها على مساواةِ الأجْزاء في المكانِ، وذلك ضدُّ النَّبْوِ الذي هو منافاةُ الأجْزاء[3]، ويدلُّ أيضًا علَى معنى الرُّجوعِ[4]، تقول العربُ: باءَ بإثمِه، إذا رَجَعَ به[5]. ويُستعمَلُ البَواءُ في مُراعاة التَّكافؤِ، ومنه قولُ العرَب: فلانٌ بواءٌ لفلانٍ؛ إذا ساواهُ، ومنه قولُ اللّهِ تعالَى: ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: 16]، أي: حلَّ مُبوَّأً، ومعَهُ غضَبُ اللّهِ تعالَى، واسْتِعْمالُ (باءَ) هَهُنا فيهِ إشارةٌ إلى أنَّ مكانَه الموافقَ يَلْزَمُه فيهِ غضَبُ اللّهِ تعالَى، فكَيْفَ بغَيْرِه مِنَ الأمكِنَةِ؟[6].

6) ﴿بِغَضَبٍ﴾: الغين والضّاد والباءُ، تَدور اشتقاقاتُها على معنى الشِدَّةِ والقوَّة، ومنه تسميَةُ العربِ الصَّخرةَ الصُّلبةَ بالغَضْبَةِ[7]، ومنه الغضَبُ؛ فإنَّه دالٌّ على شدَّةِ الغاضبِ وقوَّتِه، فإنَّ العبدَ إذا اسْتَشْعَرَ القُدرةَ؛ كان منه الغضبُ، وإنِ اسْتَشْعَرَ العَجْزَ؛ كان منه الحُزْنُ[8]. وأمّا قولُ الرّاغب في حقيقة الغضَبِ: إنَّهُ (ثورانُ دَمِ القَلْبِ إرادةَ الانْتقامِ)، ورتَّب عليهِ أنَّ معنى الغضبِ في حقِّ اللّهِ تعالى، هو الانتقامُ دونَ غيرِه[9]؛ فغيرُ مُسلَّمٍ، إذ حقيقةُ الغضبِ المذكورةُ عند الرّاغب، هي غضبُ المخلوقِ لا غضبُ الخالقِ، فإنَّ الغضبَ مِنَ الصِّفاتِ المعنويَّةِ الَّتي تُدْرَكُ بآثارِها، ومن آثارها في حقِّ المخلوقِ، ما ذكرَهُ الرّاغبُ، لا على أنَّ ذلك هو حقيقتُهُ[10]، فغضبُ اللّهِ تعالَى المذكورُ في قولِه سُبْحانَهُ: ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ هو غضبٌ يليقُ بجلالِ اللّه وعظَمَتِه.

---

(1) الزّبيديّ، تاج العروس: (حوز).

(2) البيت للقطاميّ. ينظر: الصّحاح واللّسان والتاج (حوز؛ حيز)، والحميريُّ، شمس العلوم: 1657/3.

(3) الرّاغب، المفردات: (باء).

(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بوأ).

(5) ابن دُريد، جمهرة اللُّغة: (بوأ).

(6) الرّاغب، المفردات: (باء).

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غضب).

(8) ابن تيميَّة، الرِّسالة الأكمليَّة فيما يجب لله من صفات الكمال، ص: 53.

(9) الرّاغب، المفردات: (غضب).

(10) يدلُّ على عدمَ صحّة تفسيرِ غَضَبِ اللهِ تعالى بالانتقامِ قولُ الله تعالَى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥﴾ [الزّخرف: 55]، فإنَّ معنى ﴿ءَاسَفُونَا﴾: أغضبونا، فجَعَلَ الانتقامَ أثرًا مترتِّبًا علَى الأسَفِ، فدلَّ علَى أنَّهُ غيرُهُ، يُنظر: ابن عثيمين، القول المفيد: 422/1.

7) ﴿وَمَأۡوَىٰهُ﴾: الهَمْزَةُ والواوُ والياء، تدورُ تصريفاتُها على مَعْنَيَيْنِ: التَّجمُّعُ، والإشفاقُ[1]، ومِنَ الأوَّلِ التَّأَوِّي، وهو التَّجمُّع، وقولُ العربِ: تأوَّتِ الطَّيرُ؛ إذا انضمَّ بعضُها إلى بعضٍ[2]، والمَأْوَى: المكانُ الَّذي يُنْصَرَفُ إليه، ويُقامُ فيه[3]، والمَأْوَى في قولِ اللهِ تَعالَى: ﴿وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ﴾ المصير الَّذي يَأْوي إليه يومَ القيامَةِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

نـــداءٌ عـــامٌّ لـلـمـؤمـنـين، لـلـثَّـبـات في مـــواجـــهـــة المُعتدين، دون استدبار ولا فرار

يا مَنْ آمَنَ باللهِ تعالى واتَّبعَ رسولَهُ ﷺ، إذا قابلْتُمُ المُشْرِكينَ في القِتالِ متقارِبَيْنِ؛ فلا تولّوهُم ظُهورَكُم، فتَنْهَزِموا عنهم، ومَن يولِّهم منكُم ظَهْرَهُ هاربًا منهم، غَيْرَ مُنْعَطِفٍ لِقتالِهم، بأنْ يُرِيَهُمُ الفَرَّ مَكيدَةً منه، وهو يُريد الكَرَّ عليهم، أو غَيْرَ صائرٍ إلى حَيِّزٍ المُؤْمِنينَ الَّذينَ يَفيئونَ به مَعَهُم إليهم لِقتالِهِمْ؛ فقد رَجَعَ بغَضَبٍ مِنَ اللهِ سُبحانَهُ واسْتَحَقَّهُ، ومصيرُهُ الَّذي يأْوي إليه يومَ القيامَةِ جَهَنَّمُ، وبِئْسَ الموضِعُ الَّذي يصيرُ إليهِ ذلكَ المَصيرُ[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ قَوْلِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ عَمّا قَبْلَهُ:

التَّحذيرُ مِنَ الوَهَنِ ومن الفِرارِ عند مواجهة العَدوِّ الأرعن

فُصِلَ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ عَمّا قَبْلَهُ؛ لوقوعِه استئنافًا ابتدائيًّا[5]، فإنَّ اللهَ سُبحانَهُ لمّا ذكَّر المؤمنينَ بما أيَّدَهُم بِهِ يومَ بدرٍ مِنَ الملائكَةِ والنَّصْرِ مِن عِنده؛ اعترَضَ في خلالِ ذلكَ بتحذيرِهم مِنَ الوَهَنِ والفِرارِ من عُدوِّهم، وفي ضِمْنِ ذلكَ أمرٌ لهم بالثَّباتِ والصَّبْرِ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (أوى).
(2) الخليل، العين: (أوى).
(3) ابن أبي نصر الحُميديّ، تفسير غريب ما في الصَّحيحين، ص: 266.
(4) الهروي، الغَريبَيْن: (حوز)، والرّاغب، المفردات: (حيز).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 286/9.

نُكْتَةُ النِّداءِ بـ (يا) في قَوْلِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾:

جاء النِّداءُ بـ (يا) في قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، وهي في الأصل لِنداء البَعيدِ، ونداءُ اللهِ سبحانه لعبادِه نداءٌ مِنَ الخالِق إلى المخلوقين، فجديرٌ أنْ يَكونَ بأداةِ النِّداء لِلْبَعيدِ، وفي التَّعبير بأداة النِّداء لِلْبَعيد نِكاتٌ: أولاها: بُعْدُ ما بين الخالِق والمَخْلوقِ مِنَ المَكانة. وثانيها: أنَّه نداء مِنَ الخالِق، وهو مُقْتَضٍ أعلَى العلوِّ وأبعدَهُ. وثالثها: عِظَمُ شأنِ موضوع النِّداءِ، وإظهارُ العنايَةِ بِهِ والمُبالغَةُ في حَثِّهم علَى المُحافظَةِ عليه[1].

الحَثُّ على الصَّبْرِ والثَّباتِ، والتَّحْذيرُ مِنَ الوَهنِ والفِرارِ

سِرُّ النِّداءِ بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾:

النِّداءُ بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾ في قَوْلِ اللهِ جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فيهِ ضَرْبٌ مِن تَقْوِيَةِ النِّداءِ، ووَجْهُ ذلك: أنَّ (أيّ) لا يُفْهَمُ المرادُ منها إلّا باسمٍ بعَدَهُ يُزيلُ غُموضَهُ، وفي هذا انتقالٌ مِنَ الإبْهام إلى الإيضاحِ والبَيانِ، وفي هذا نَوْعُ توكيدٍ، وفي اقترانِه بـ(ها) التَّنبيه: زيادةٌ في التَّوكيدِ؛ إذِ النِّداءُ في الأصل يُرادُ به التَّنبيهُ.

الانْتِقالُ مِنَ الإبْهامِ إلى الإيضاحِ والبَيانِ مِن مُقَوِّياتِ المَعاني

دلالةُ النِّداءِ باسْمِ الإيمانِ:

وقَعَ النِّداءُ باسْمِ الإيمانِ في قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾؛ لكونِ الإيمانِ صَبْرًا وفِداءً، فالنِّداءُ باسمِ الإيمانِ تحريضٌ علَى الصَّبْرِ عند اللِّقاءِ، والثَّباتِ عند الصِّعابِ[2]؛ لِما يُشْعِرُ بِهِ وصفُ الإيمانِ مِنَ الاستعدادِ لامتِثالِ ما يأمرُهُم اللهُ تعالَى به؛ وذلك لأنَّهُ أخصُّ أوصافِهم تُجاهَ أوامرِ اللهِ[3] ﷻ، كما قالَ سُبحانَهُ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ﴾ [النّور: 51].

أخَصُّ أوصافِ المؤمنين: امْتِثالُهُم الأوامِرَ، وانزجارُهُم عنِ الزَّواجر

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 12/4.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3084/6.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/10.

نُكْتَةُ مَجيءِ جُمْلَةِ الصِّلَةِ فِعْلًا ماضيًا:

جاءتِ جملةُ الصِّلَةِ فِعْلًا ماضيًا، في قَوْلِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾؛ لإفادةِ التَّجدُّد والحدوث؛ حثًّا لِلْمُخاطَبين على تَجْديدِ إيمانِهم والاستمرارِ عليه، وفي الإتيانِ بها فِعْلًا ماضيًا هاهُنا إشعارٌ بأنَّ وصفَ الإيمانِ ثابتٌ لهم، وأنَّهُم مُتَحَقِّقونَ به؛ لأنَّهم آمنوا بمجرَّد أن سمعوا الحقَّ.

حَثُّ أهْلِ الإيمانِ عـلى تَـجْـديـدِ إيمانِهم والثَّباتِ عليه

فائِدَةُ حَذْفِ مُتَعَلَّقِ الإيمانِ مِن قَوْلِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾:

حُذِفَ متعلَّقُ الفعلِ ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ من قَوْلِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وهو المُؤْمَنُ به، وفي ذلك مَسْلَكان: أحدُهما: ظهورُ أفرادِ المؤمَنِ به؛ وذلك لأنَّ الإيمانَ لَهُ حقيقةٌ شَرْعيَّةٌ مَعْروفةٌ، فإذا أُطْلِقَ لفظُ الإيمانِ انصرَفَ الذِّهْنُ إلى تلكَ الحَقيقةِ، مِن غَيْرِ افتقارٍ إلى التَّنصيصِ على مُتَعَلَّقِه. والآخر: إرادَةُ العموم؛ وذلك لأنَّ حَذْفَ المَعْمولِ مُؤْذِنٌ بالعُمومِ، والمعنى: آمَنوا بجَميعِ ما يجبُ الإيمانُ به شرعًا.

حَقيقَةُ الإيمانِ مُـسْـتَـقِـرَّةٌ في الـنُّـفـوسِ، ولـهـا تـخـضـع الـنَّـواصي، وتُطأطَأُ الرُّؤوس

نُكْتَةُ تَعْليقِ الشَّرْطِ بـ﴿إِذَا﴾:

في قَوْلِه: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ أداةُ الشَّرْطِ (إذا) تَدُلُّ في الأَصْلِ علَى تحقُّق وقوعِ مَدْخولِها، ولذا كانَ الغالِبُ في الفِعْلِ المُسْتَعْمَلِ معها، أن يكون ماضيًا؛ للدِّلالة على تحقُّق الوقوعِ المُناسِب لِما تُفيده (إذا)، والتَّعبير بهذا في قولِه سُبْحانَهُ: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ إشعارٌ بتحقُّقِ لقاءِ المؤمنينَ الكفَرَةَ، وأنَّ القِتالَ بينَهُم كائِنٌ لا محالَةَ؛ إذْ لا يَزالُ الحقُّ والباطِلُ في صِراعٍ.

الحَقُّ والباطلُ في صِراعٍ دائِمٍ، لا ينتهي إلى يوم القيامة

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بالصِّلَةِ في قَوْلِه: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

في التَّعبير بالاسْم الموصولِ وصِلَتِه ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، تَحْريضٌ أشدُّ لِلْمُؤْمِنينَ؛ إذْ إنَّهُم أُمِروا بالثَّباتِ مقابِلَ مَنْ كَفَروا بربِّهم، وآذَوْا أولياءَهُ، وأخْرَجوهُم مِن ديارِهم، وظاهَروا على ذلكَ[1].

تَحْريضُ المؤْمِنينَ على الثَّباتِ في مواجهة مَنْ كَفَرَ باللهِ تَعالَى وآذَى أولياءَهُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/10.

سِرُّ مَجيءِ جُمْلَةِ الصِّلَةِ فِعْلًا ماضيًا:

كُفْرُ الكُفّارِ جراءةٌ على الله الواحد القهّار

جاءتِ جملةُ الصِّلَةِ فِعْلًا ماضيًا: ﴿كَفَرُواْ﴾، في قَوْلِ اللّهِ ﷻ: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾؛ للدِّلالَةِ علَى تجدُّدِ الكُفْرِ فيهم؛ وفي هذا زيادَةُ حثٍّ على مُصابَرةِ هؤلاءِ وقِتالِهِمْ؛ إذْ عَظُمَت جراءَتُهُم على ربِّهم ﷻ بالكُفْرِ به وبما يجبُ الإيمانُ به، وفي الإتيانِ بجملَةِ الصِّلَةِ فِعْلًا ماضيًا، إشعارٌ بأنَّ وصفَ الكُفْرِ ثابتٌ لهم مُتَحَقِّقٌ فيهِمْ.

بَلاغَةُ الطِّباقِ اللَّفظي:

تَعظيمُ شَأْنِ أهْلِ الإيمانِ، وحَطُّ أقْدارِ أهْلِ الكُفْران

في قَوْلِ اللّهِ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾، فيه طباقُ إيجابٍ بينَ ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ و﴿كَفَرُواْ﴾، وفي هذا بيانُ عظيمِ التَّفاوُتِ بينَ الطّائفَتَيْنِ؛ تعظيمًا لأهل الإيمانِ، وحطًّا وتَحْقيرًا لأهْلِ الكُفْرِ؛ لأنَّ الضِّدَّ يُظْهِرُ حُسْنَ ضِدِّه وقُبْحَهُ.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بالمَصْدَرِ ﴿زَحْفًا﴾:

الحَثُّ على الثَّباتِ والمُصابَرَةِ حالَ لِقاءِ الكَفَرة

لفظ ﴿زَحْفًا﴾ من قَوْلِ اللّهِ ﷻ: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ مصدَرٌ، وقع حالًا، ولِذا لَم يُجْمَعْ، كقولِ العربِ: قومٌ عَدْلٌ ورِضًى[1]، وجاءَ التَّعبيرُ عَنْ حالِ لقائِهم بالمصدَرِ لقصْدِ المبالَغَةِ في التَّشبيهِ، والمعنى: إذا لقيتُم الّذين كفَروا حالَ كَوْنِهم مُحارِبينَ، وهُم مِنَ الكثْرَةِ بحَيْثُ لا يُدْرَكُ مِن تحرُّكِهم إلّا كَما يُدْرَكُ مِنَ الزَّحْفِ[2].

بلاغةُ الاسْتِعارَةِ في الآية:

تَصْويرُ مَشْيِ الطّائِفَتَيْنِ في الكَثْرَةِ والاجْتِراسِ في صورَةِ الزّاحِف

في قَوْلِه تَعالَى: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ استعارة، فأصلُ الزَّحْفِ مشيٌ معَ جرِّ الرِّجْلِ، ومنه انْبِعاثُ الصَّبيِّ قبْلَ أن يمشيَ، فشُبِّهَ مشيُ الطّائفَتَيْنِ بعضهم إلى بعضٍ في القِتالِ بالزَّحْفِ، على طريقَةِ الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ الأصليَّةِ، وفي ذلك نُكْتَتانِ؛ إحداهما: الإشعارُ بأنَّ كُلَّ طائفَةٍ تمْشي إلى نظيرَتِها مشْيًا رُوَيْدًا قَبْلَ التَّنادي

(1) النّعلبيّ، الكشف والبيان: 336/4.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 240/8.

للقتالِ؛ لأنَّ كلًّا منهما يَدْنو إلى الآخَرِ باحْتِراسٍ وتَرَصُّدٍ لِلْفُرْصَةِ[1].

وثانيهما: الدِّلالَةُ على كثْرَةِ المُقاتِلينَ، حتَّى إنَّهم مِن كثْرَتِهم الكاثِرةِ يُرَوْنَ كأنَّهم شيءٌ يَزْحَفُ؛ وذلك لأنَّ الجميعَ يُرَوْنَ بمنزِلَةِ الجسْمِ الواحدِ المُتَّصلِ، فتُحَسُّ حركتُهُ بالنَّظَرِ إليه في غايةِ البُطْءِ وإن كانَت في نَفْسِ الأمْرِ على غايَةِ السُّرْعَةِ[2].

دِلالَةُ الفاءِ في قَوْلِه: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾:

النَّهْيُ عَنِ الفِرارِ مِن النِّزال دعوةٌ للثَّبات في كلِّ الأحوال

الفاءُ في قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ واقعَةٌ في جوابِ الشَّرْطِ[3]؛ لكونِه جملةً طَلَبيَّةً، فالفاءُ رابِطَةٌ بين الشَّرْطِ ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾، والجوابِ: (لا تولّوهُمُ الأدْبارَ)، ووجود الفاء دلالة على بلاغة الحَذْفِ، على تقدير: (إذا لقيتم الَّذين كفروا زحفًا؛ تعيَّن عليكم القتالُ، فلا تولّوا الأدبار).

بَلاغَةُ الكِنايَةِ في قَوْلِه: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾:

المُرادُ بالنَّهْيِ عَنْ تَوْلِيَةِ الأدْبارِ: النَّهْيُ عَنِ الفِرارِ والانكسار

تَوْلِيَةُ الأدْبارِ في قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾، كنايَةٌ عن الفرارِ مِنَ الأعداءِ، بقرينَةِ ذِكْرِه في سياقِ لقائِهم، فتوْلِيَةُ الأدبار مُستعمَلٌ في لازِمِ مَعْناهُ، مع بعضِ معناهُ الأصليِّ؛ وذلك لأنَّ صرفَ الظَّهْرِ إلى العَدوِّ بعْدَ النَّصْرِ للانْصِرافِ إلى المعسكَرِ مِنَ الضَّروراتِ، وليسَ هذا بالمَنْهيِّ عنه، وإلّا لَزِمَ منه أن يَبْقَى المُسْلِمونَ مواجهينَ جيشَ عَدوِّهم مواجهةً دائمَةً، فدلَّ هذا على أنَّ المرادَ بالنَّهْيِ عَنْ تولِيَةِ الأدبارِ النَّهْيُ عَنِ الفرارِ مِنَ الأعداءِ قَبْلَ النَّصْرِ أو القَتْلِ[4].

---

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 464/15، والخازن، لباب التّأويل: 299/2، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 286/9.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 12/4.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/10.

(4) الخازن، لباب التّأويل: 299/2، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 289/9.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بالأدْبارِ دونَ الظُّهورِ:

تَـقْـبـيـحُ فِـعْـلِ الفرار، وتَبْشيعُ الانْـــهـــزامِ، لـلـحـفـاظ على الأُمَّة

عُدِلَ عنِ التَّعبير بالظُّهور إلى التَّعبير بالأدبارِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾، فلَم يَرِد النَّظْمُ القرآنيُّ: (فلا تولّوهم الظُّهور)؛ تقبيحًا لِفعْلِ الفارِّ، وتَبْشيعًا للانْهزامِ، وتنفيرًا منه؛ لأنَّ القُبُلَ والدُّبُرَ يُكْنَّى بهما عَنِ السَّوْءَتَينِ[1].

سِرُّ التَّعْبيرِ بـ ﴿ٱلْأَدْبَارَ﴾ دونَ (أدْبارِكُمْ):

المُسْلِمُ في النِّزال مُـكَـلَّـفٌ بـفِـعْـلِ نَـفْـسِـه وغَـيْـرِه؛ مُبالَغَةً في وحدة الإسْلامِ

جاءَ التَّعبيرُ بلفظ ﴿ٱلْأَدْبَارَ﴾ دونَ (أدْبارِكُمْ)، في قَوْلِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾، فلَم يَرِد النَّظْمُ القرآنيُّ: (فَلا تولّوهُم أدْبارَكُمْ)؛ إشعارًا بأنَّ المُسْلِمَ في القِتالِ، قد كُلِّفَ بفِعْلِ نفسه وبفِعْلِ غيرِه، مبالغَةً في اتِّحادِ كلمةِ أهلِ الإسْلامِ؛ لئلّا يتطرَّقَ الوَهَنُ إليهم، وذلك لأنَّ العَبْدَ إذا ولَّى دُبُرَهُ هاربًا؛ كان ذلكَ سببًا لِتَوَلّي غَيْرِه؛ لِما يُلْحِقُهُ هَرَبُهُ مِن وهَنِ العَزائم، وبهذا صَحَّ نَهْيُهُ عن فِعْلِ غيرِه بهذا الاعْتِبارِ، فإذا رأى غيرَهُ ولَّى دُبُرَهُ؛ وجبَ عليه ألّا يوَلّيَ هو دُبُرَهُ، بل يَصْبِرُ، ويثْبُتُ، ويُقاتِلُ عمَّن ولَّى دُبُرَه ليَرْجِعَ، ويُقاتِلَ[2].

بَراعَةُ الالتِفاتِ مِنَ الجَمْعِ إلى الإفْرادِ:

وُجـوبُ التَّضافُرِ والـتَّـآزُرِ وعـدمِ جَـوازِ الانْـفِـرادِ بـــرَأْيٍ دونَ الجَماعَةِ

في قَوْلِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝١٥ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾، التفاتٌ بالعَدَدِ مِنَ الجَمْعِ ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾، إلى الإفْرادِ ﴿يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾، فذكَرَ الفارَّ مُفْرَدًا؛ للإشارَةِ إلى وجوبِ التَّضافُرِ والتَّآزُرِ، وألّا ينْفَرِدَ المقاتِلُ برأْيٍ دونَ باقي الجماعَةِ، وألّا يَكونَ إلّا معَهُمْ[3].

دِلالَةُ التَّنْوينِ في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مِن قَوْلِه: ﴿يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾:

التَّنوينُ في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ من قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 292/5، والخفاجيّ، عناية القاضي: 259/4، والآلوسيّ، روح المعاني: 169/5، وطنطاويّ، الوسيط: 61/6.

(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 281/2.

(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3084/6.

عِوضٌ عَنِ المُضافِ إليه، وهو إيماءٌ إلى يومِ اللِّقاءِ الَّذي دلَّ عليه قولُهُ سُبحانَهُ: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، والتَّقدير: (ومَن يولِّهم دُبُرَهُ يومَ لقائِكُمُ الَّذين كفَروا)، ففيهِ إيجازٌ بحذْفِ جُمْلَةٍ[1].

طَيُّ بعض الكَلامِ وإبْقاءُ ما يَدُلُّ عَلَيْه من فصيح البيان

دِلالَةُ (اللّامِ) في قَوْلِه: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾:

اللّامُ في قَوْلِ اللهِ سُبْحانهُ: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ لامُ التَّعليلِ، و(إلّا) للاستثناء، والمعنى: إلّا في حالِ مجانبَةِ مُعظَمِ القتالِ ووسطِ الصَّفِّ إلى مكانٍ أمكنَ لَهُ لأجْلِ القِتالِ بالكَرِّ والفَرِّ[2].

جَوازُ التَّزحزح عن وسَطِ الصَّفِّ لِأجْلِ القِتالِ بالكَرِّ والفَرِّ

دِلالَةُ الرَّبْطِ بالفاءِ:

الفاءُ في قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ رابطَةٌ لِجَوابِ الشَّرْطِ في قولِه: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾، وذلك أنَّه لمّا جيءَ بالشَّرْطِ؛ كان ذلك محلًّا لتوقُّعِ السّامعِ للجوابِ، وتفريغِ ذهنِه لهُ، فجيءَ بالفاءِ إشعارًا بأنَّ الفِعْلَ المُتحدَّثَ عنه قَبلُ سببٌ لهذا الجزاءِ[3].

تَرْتيبُ غَضَبِ اللهِ تَعالَى على مُجانَبَةِ وسَطِ الصَّفِّ لِغَيْرِ قَصْدٍ صَحيحٍ

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بالبَوْءِ في الآيَة:

عُبِّرَ بالبَوْءِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ للإشعارِ بلُزومِ غضبِ اللهِ تعالَى لهم أينَما حلّوا؛ إذْ معنى قولِ اللهِ سُبحانَهُ في هذه الجملة من الآية ﴿فَقَدْ بَآءَ﴾: حلَّ مُبوَّأً، ومعَهُ غَضَبُ اللهِ جلَّ وعلا، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ مَكانَه الملائمَ لَهُ يَلْزَمُه فيهِ غَضَبُ اللهِ سُبْحانَهُ، فكَيْفَ بغَيْرِه مِنَ الأمْكِنَةِ؟[4]

الفارُّ مِنَ المَعْرَكَةِ تلحقه لعنةُ الله السّاحقة، وآثار غَضَبِه الماحقة

دِلالَةُ (الباءِ) في: ﴿بِغَضَبٍ﴾:

الباءُ في قَوْلِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ للإلصاقِ والمُلابَسَةِ، أي: إنَّه قد رجَعَ وغضبُ اللهِ تعالى ملاصِقٌ

من باء بغَضَبٍ اللهِ تَعالَى؛ فقد خَسِرَ الدُّنيا والآخرة

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 510/2، وأبو حيّان، البحر المحيط: 292/5.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 290/9.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 241/8.
(4) الرّاغب، المفردات: (باء).

لهُ ومُلابِسٌ، وهذا فيه إشعارٌ بلُزومِ الغضبِ عليه؛ لعظيمِ جُرْمِه وشنيعِ فِعْلَتِه[1].

سِرُّ تَنْكيرِ الغَضَبِ في قَوْلِه: ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ﴾:

عِظَمُ العَذابِ في الآخرة على قدرِ الفِعالِ الفاجرةِ

تَنكيرُ الغضبِ في قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، يُرادُ به التَّعظيمُ والتَّفخيمُ، فهُم قد باؤوا بغضبٍ عظيمٍ؛ لعِظَمِ جُرْمِهم وشناعَةِ صنيعِهم، وزادَ الغضبَ دِلالةً على التَّعظيمِ وصفُهُ بـ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ فإنَّ الجارَّ والمَجْرورَ مُتَعَلِّقٌ بمَحْذوفٍ صفةٌ لـ (غَضَبٍ)، فأفاد مجموعُ ذلك: كونَهم باؤوا بغضبٍ مؤكَّدٍ؛ فقد اجتمعتِ الفخامةُ الذّاتيَّة المُسْتَفادَةُ من تَنْكيرِ الغَضَبِ، والفخامةُ الإضافيَّةُ المُسْتَفادةُ من إضافَتِها إلى الاسمِ الأعظمِ (اللهِ)[2].

بَلاغَةُ الاسْتِعارَةِ التَّهَكُّمِيَّةِ:

التَّهكُّمُ مِن أشَدِّ أنْواعِ العَذابِ، وأكثرُه تأثيرًا في البلاغ

في قَوْلِه: ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ استعارة تهكّميَّة، فأصلُ المَأْوَى: المكانُ الَّذي يُنْصَرَفُ إليه، ويُقامُ فيه[3]، وإنَّما يُؤْوَى إلى مكانٍ فيه استقرارٌ واطمئنانٌ، فمجيءُ التَّعبيرِ القرآنيِّ عن جهنَّمَ بالمَأْوَى في قولِه سُبْحانَهُ: ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ﴾ من بابِ الاسْتِعارَةِ التَّهكُّميَّة، وهذا أشدُّ وقعًا على النُّفوسِ؛ لِما فيها مِنَ الإنْزالِ لِقدرِ المخاطَبِ والحَطِّ منه[4].

تَوْجيهُ المُتَشابِهِ اللَّفْظِيِّ:

دِقَّةُ النَّظْمِ القرآنيِّ في اختيارِ حُروفِ المَعاني، بما يُناسِبُ السِّياقَ

جاء التَّعبيرُ في هذا الموضعِ بالواوِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ﴾، وفي آلِ عمرانَ بـ (ثُمَّ)، فقالَ سُبْحانَهُ: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران: 197]، وجيءَ بـ (ثُمَّ) في آلِ عمرانَ؛ لأنَّ هذهِ الآيَةَ سُبِقَتْ بقَوْلِ اللهِ جلَّ وعلا: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 291/9.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 13/4.
(3) الحُمَيْديّ، تفسير غريب ما في الصَّحيحين، ص: 266.
(4) يحيى العلويّ، الطِّراز لأسرار البلاغة: 127/1.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبَلَدِ﴾، وتصرُّفُهم في التِّجارَة وإصابتُهم الأمْوالَ، قد يطولُ زَمَنُهُ، ولذا ذُكِر حَرْفُ العَطْفِ (ثُمَّ) الدّالِّ على التَّراخي.

بخلافِ آيةِ الأنْفالِ؛ فقد وردَ العَطْفُ فيها بالواوِ، في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾؛ لعدمَ تضمُّنِها ما يقتضي التَّراخي، فكان الأنسبُ العطفَ بالواوِ المفيدةِ الاشتراكَ في الحُكْمِ.

بَلاغةُ الاعْتِراضِ في الآية الكريمة ودوره في الدَّلالة:

قولُ اللّهِ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ اعتراضٌ بين قولِه سُبحانَهُ قَبْلُ: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ﴾، وقولِه ﷻ بَعْدُ: ﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ﴾، وفي هذا الاعتراضِ تدريبٌ للمُسْلِمينَ علَى الشَّجاعَةِ والإقْدامِ والثَّبات عند لقاءِ الأعْداءِ، وهيَ طريقَةٌ حسنَةٌ عند العَرَبِ، وقد زادَها الإسْلامُ تقويَةً[1].

تَدْريبُ المُسْلِمينَ علَى الشَّجاعَةِ والإقْدامِ، والثَّباتِ عند لِقاءِ الأعْداءِ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المأْوَى والمثْوَى:

ذهب بعضُ أهل العلم إلى أنَّ المأوَى والمَثْوَى بمعنًى واحدٍ، وفرَّق بينهما جماعةٌ، وحاصلُ الفرقِ بينهُما مِن وجْهَيْنِ: أحدهما: أنَّ المأوى أعمُّ من المثوَى؛ لأنَّ المثوَى يتضمَّنُ معنى الإقامةِ، بخلاف المَأْوَى[2]، فقد يدلُّ على معنَى الإقامة، وقد لا يدلُّ عَلَيْها؛ ولذا قد يأوي الإنسانُ إلى مكانٍ عارضٍ، ولذا جاء في الحديث قولُ النَّبيِّ ﷺ: «انْطَلَقَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كانَ قَبْلَكُم حَتَّى أوَوا المَبيتَ إلى غارٍ»[3]

المأوى أعمُّ من المثوى، لكنَّ الإقامةَ في المثوى أكثرُ دوامًا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/10.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 301/2، والهرَريّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 222/5.
(3) أخرجه البخاري في صحيحه: برقم: (2272) واللَّفظ له، ومسلم في صحيحه، برقم: (100).

– في القصَّة المشهورة – فعبَّر عن مَبيتِهم العارِض في غارٍ بالإيواءِ. وثانيهما: أنَّ الإقامةَ إن دلَّ عليه لفظ (المأوى) يُفارق الإقامةَ التي يدلُّ عليه لفظُ (المَثْوَى)؛ لأنَّ الإقامةَ في المثوَى إقامةٌ مع دوامٍ، بخِلافِها في المأوى[1]، فالمأوى قد يُقيم فيه المرءُ إقامةً طَويلَةً، ولكنَّ المثوَى تقتضي الإقامةَ الدّائمةَ[2]، وقد جُمِعَ بين المَأْوَى والمَثْوَى في آيةٍ واحدةٍ، وهي قولُ اللّه تعالى: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾ [آل عمران: 151]، وهو يؤيِّدُ أنَّ في المثوى أمرًا زائدًا على المأوَى، ففي ذِكْر المَثْوَى بعد المأوى إشارةٌ إلى خُلودِهم، ولذا قُدِّم المأوى؛ بالنَّظر إلى التَّرتيب الوجوديِّ؛ فإنَّ الكافرَ يأوي ثُمَّ يَثْوي[3].

(1) عبد الجبّار فتحي زيدان، الفروقُ اللُّغويَّة في القرآن الكريم، ص: 167 - 168.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1450/3.
(3) القِنَّوجيّ، فتح البيان: 352/2.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»